حقيقة الدنيا

وحقيقة الموت

تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

دار الفرقان
المحبة والسنة
الإمام المهدي

مصوراتي

أبي عبدالرحمن السلفي

الفلسطيني

حَقِيقَةُ الدُّنْيَا
وَحَقِيقَةُ الْمَوْتِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيدِ رسلان

الناشر

دار البربهاري للنَّشْرِ والتَّوْزِيعِ

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولىٰ

١٤٣٢ هـ

رقم الإيداع: ٢٠١١/٩٢١٤

الناشر

دار البربهاري للنشر والتوزيع

القاهرة: ٢٤ ش الترعة الخمسينية بجوار مسجد

الرحمة المهداة ومجمع الشرطة بالأميرية

ت: ٠١٨٩٦٠٦٠٥٠ - ٠١١٨٤٢٦٢٠٥

email: darelbrbahary@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأَحْزَابُ: ٧٠- ٧١].

● أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فَإِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى الْجَلَّاءَ يَقُولُ: سَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِ أَبِي: لِمَ سَمَّيْتُمْ أَبِي: الْجَلَّاءَ؟ أَكَانَتْ لَهُ صَنْعَةٌ؟ فَقَالَ: كَانَ أَبُوكَ إِذَا تَكَلَّمَ عَلَيْنَا بِكَلَامِ الْآخِرَةِ جَلَا عَنْ قُلُوبِنَا مَا عَلِقَ بِهَا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَسَمَّيْنَاهُ الْجَلَّاءَ[1].

---

(١) أورد أخباره: الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢١٣، ٢٦٦، ١٤/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في «المنتظم في تاريخ الملوك=

وَيَحْيَى الْجَلَّاءُ هَذَا رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا مَاتَ وَوُضِعَ عَلَى الْخَشَبَةِ الَّتِي سَيُغَسَّلُ عَلَيْهَا كَشَفُوا عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ يَضْحَكُ، فَشَكُّوا فِي أَمْرِهِ فَقَالُوا: لَمْ يَمُتْ بَعْدُ، فَغَطَّوْا وَجْهَهُ وَدَعَوُا الطَّبِيبَ، فَجَاءَ الطَّبِيبُ، فَجَسَّ نَبْضَهُ وَاخْتَبَرَهُ فَقَالَ: هُوَ مَيِّتٌ، فَلَمَّا كَشَفُوا عَنْ وَجْهِهِ وَرَآهُ يَضْحَكُ قَالَ: هُوَ حَيٌّ، قَالَ ابْنُهُ: فَاحْتَرْنَا فِي أَمْرِهِ، وَكَانَ كُلَّمَا جَاءَ رَجُلٌ لِكَيْ يُغَسِّلَهُ نَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ فَأَخَذَتْهُ الْهَيْبَةُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ، فَظَلَّ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَغَسَّلَهُ، ثُمَّ كَفَّنَّاهُ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ وَدَفَنَّاهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

= والأمم» (٥/ ١٧-١٨، ٦/ ١٤٨-١٤٩)، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٣/ ٣٠)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٣/ ١٨٢-١٨٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٨١-٩٣).

يَقُولُ وَلَدُهُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : قُلْتُ لِأَبِي وَأُمِّي يَوْمًا : هَبَانِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَا : وَهَبْنَاكَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقُمْ فَاخْرُجْ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ فَضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَضْرِبَ فِيهَا ، ثُمَّ عُدْتُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ ، فَطَرَقْتُ الْبَابَ ، فَقَالَ أَبِي : مَنْ بِالْبَابِ؟ قُلْتُ : أَنَا وَلَدُكَ ، قَالَ : مَا لِي مِنْ وَلَدٍ ، كَانَ لِي وَلَدٌ فَوَهَبْتُهُ لِلَّهِ ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ وَأُمُّكَ كَذَلِكَ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَنَحْنُ لَا نَعُودُ فِي هِبَةٍ وَهَبْنَاهَا أَبَدًا فَارْجِعْ لِحَالِ سَبِيلِكَ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ .

هَذَا مَثَلٌ بَلْ أَمْثَالٌ ؛ فَهَذَا الرَّجُلُ وَابْنُهُ وَامْرَأَتُهُ ، كُلُّهُمْ مَثَلٌ يُضْرَبُ عَلَى عُمْقِ الْإِيمَانِ وَجَلَالِهِ فِي النَّفْسِ الَّتِي آمَنَتْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَسَلَّمَتْ لِلنَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ .

وَأَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثُوَبٍ رضي الله عنه[1]، وَكَانَ مِنَ التَّابِعِينَ الَّذِينَ انْتَهَى إِلَيْهِمُ الزُّهْدُ، فَحَلَّ بِسَاحَتِهِمْ وَنَزَلَ بِدَارِهِمْ رضي الله عنهم، هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُشَبَّهُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ-.

كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ رحمه الله بِالْيَمَنِ، وَكَانَ بِالْيَمَنِ حِينَئِذٍ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ -لَا رَحِمَ اللَّهُ فِيهِ مَغْرِزَ إِبْرَةٍ- فَادَّعَى الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ النُّبُوَّةَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يُعْلِمُهُ، فَقَدِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهَلَكَ أَيْضًا قَبْلَ مَوْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) انظر أخباره في: «المعرفة والتاريخ» للفسوي (٢/ ٢٢١)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/ ٢٩٣-٢٩٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧/ ١٩٠-٢٢٣)، و«بستان العارفين» للنووي (١/ ٢٥-٢٦)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٦/ ٢٩٨-٢٩٩، ٣٠٦، ٨/ ١٥٦).

كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ آمَنَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِالْقُرْآنِ مَنْهَجًا وَإِمَامًا، دَعَاهُ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ الْمُتَنَبِّئُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ تَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا أَسْمَعُ، قَالَ: تَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا أَسْمَعُ، وَفِي الثَّالِثَةِ يَقُولُ: تَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ يَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا أَسْمَعُ، فَأَمَرَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ الْمُتَنَبِّئُ بِنَارٍ عَظِيمَةٍ فَأُجِّجَتْ، ثُمَّ جِيءَ بِأَبِي مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَطُرِحَ فِي النَّارِ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، مَا أَصَابَتْ مِنْهُ شَعْرَةً وَاحِدَةً.

فَقَالَ أَصْحَابُ الْعَنْسِيِّ الْمُتَنَبِّئِ لَهُ: إِنَّ هَذَا إِذَا سَاكَنَكَ فِي مَنْزِلٍ، وَفِي دَارٍ، وَكَانَ مَعَكَ فِي جِوَارٍ

وَبَلَدٍ؛ أَفْسَدَ عَلَيْكَ الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ، فَلَا يُجَامِعْكَ فِي بَلَدٍ بِحَالٍ أَبَدًا، فَأَخْرِجْهُ، فَأَخْرَجَهُ.

خَرَجَ أَبُو مُسْلِمٍ مُتَوَجِّهًا إِلَى مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَقَدْ مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ وَقَامَ وَرَاءَ أُسْطُوَانَةٍ مِنْ أُسْطُوَانَاتِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ لِكَيْ يُصَلِّيَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ جَالِسَيْنِ نَاحِيَةً، فَقَالَ عُمَرُ فِي نَفْسِهِ: هَذَا هُوَ صَاحِبُنَا الَّذِي كَانَ فِي الْيَمَنِ، وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِمَا أَكْرَمَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام.

فَلَمَّا فَرَغَ أَبُو مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الصَّلَاةِ، قَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مِنَ الْيَمَنِ، قَالَ: مَا صَنَعَ صَاحِبُنَا الَّذِي أَلْقَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ فِي النَّارِ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا أَكْرَمَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام؟ فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثُوبٍ؟ فَقَالَ عُمَرُ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَلَسْتَ أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: بَلَى، فَقَبَّلَ عُمَرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ فَعَلَ بِهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِثْلَمَا فَعَلَ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَعَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، إِنَّهُ تَعَالَى الْبَرُّ الْكَرِيمُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ رحمه الله صَاحِبَ أَمْثَالٍ، فَقَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: أَرَأَيْتُمْ نَفْسًا أُكْرِمُهَا وَأُعْطِيهَا وَأَحْطِبُ فِي هَوَاهَا وَأُطِيعُهَا، سَتَذُمُّنِي غَدًا، وَرَأَيْتُمْ نَفْسًا أَقْسُو عَلَيْهَا وَأُجَافِيهَا وَأَعْصِيهَا فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي، فَتَحْمَدُنِي غَدًا؟!

قَالُوا: أَيُّ نَفْسٍ تِلْكَ؟

فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: تِلْكَ وَاللَّهِ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ أَنَا قَسَوْتُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ حَمِدَتْنِي غَدًا، وَإِنْ أَنَا أَطَعْتُهَا الْيَوْمَ ذَمَّتْنِي غَدًا، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

إِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ رضي الله عنه كَانَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا مُتَقَلِّلًا، وَكَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، حَتَّى إِنَّهُ رحمه الله كَانَ يَمُرُّ عَلَى الصِّبْيَانِ فِي الطَّرِيقِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُمْسِكَ عَلَيْنَا هَذَا الطَّيْرَ الَّذِي يَطِيرُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى نَصْطَادَهُ فَيَكُونَ لِأَهْلِينَا طَعَامًا، فَيَدْعُو أَبُو مُسْلِمٍ رحمه الله اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَيُمْسِكُ الصِّبْيَانُ الطَّيْرَ بِأَيْدِيهِمْ، لِاسْتِجَابَةِ اللَّهِ دُعَاءَهُ.

قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ يَوْمًا: يَا أَبَا مُسْلِمٍ لَيْسَ عِنْدَنَا دَقِيقٌ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكُمْ مِنْ مَالٍ؟ قَالَتْ: عِنْدَنَا دِرْهَمٌ كُنَّا قَدْ غَزَلْنَا غَزْلًا فَبِعْنَاهُ بِهِ، قَالَ: آتِينِيهِ، فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ إِلَى السُّوقِ لِكَيْ يَبْتَاعَ دَقِيقًا لِأَهْلِهِ، وَمَا فِي بَيْتِهِ مِنْ كِسْرَةٍ

يَابِسَةٍ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ رَجُلًا فَقِيرًا مِسْكِينًا يَتَتَبَّعُ أَثَرَهُ، إِذَا مَا دَخَلَ حَانُوتًا جَاءَهُ الْمِسْكِينُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ تَصَدَّقْ عَلَيَّ، فَيَهْرُبَ مِنْهُ أَبُو مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى حَانُوتٍ آخَرَ فَيَتْبَعُهُ، فَلَمَّا تَبِعَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَعْطَاهُ الدِّرْهَمَ وَانْصَرَفَ الرَّجُلُ.

وَاحْتَارَ أَبُو مُسْلِمٍ مَا يَصْنَعُ الْآنَ بِأَهْلِهِ، وَإِنَّهُ لَزَاهِدٌ مُتَقَلِّلٌ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ مَوْصُولُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَذَهَبَ إِلَى الصَّحْرَاءِ، فَأَخَذَ الْغِرَارَةَ الَّتِي كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ بِالدَّقِيقِ فِيهَا، فَمَلَأَ الْغِرَارَةَ بِرَمْلٍ أَحْمَرَ فَاحْتَمَلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ، فَجَاءَ إِلَى بَابِ دَارِهِ وَهُوَ مُجَافٍ، فَوَضَعَ الْغِرَارَةَ بِالرَّمْلِ الَّذِي فِيهَا وَرَاءَ الْبَابِ وَانْصَرَفَ مُوَلِّيًا، فَلَمَّا مَضَى الْهَوِيُّ[1] مِنَ اللَّيْلِ، وَظَنَّ أَنَّ أَهْلَ دَارِهِ قَدْ نَامُوا

(١) الهَوِيُّ: هو الساعة من الليل.

أَجْمَعُونَ، جَاءَ فَدَخَلَ مُتَلَصِّصًا فَوَجَدَ الْبَابَ مُغْلَقًا فَنَقَرَ الْبَابَ، وَلَابُدَّ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ، فَخَرَجَتْ لَهُ زَوْجُهُ مُسْتَبْشِرَةً، فَجَلَسَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَأَتَتْ بِخِوَانٍ عَلَيْهِ أَرْغِفَةٌ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا؟ قَالَتْ: مِنَ الْحِنْطَةِ الْحَمْرَاءِ الَّتِي أَتَيْتَ بِهَا، فَأَخَذَ يَأْكُلُ وَيَبْكِي ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَوْصُولُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لَمَّا تَقَلَّلَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَقْبَلَ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَعَرَفَ لِلدُّنْيَا حَقِيقَتَهَا الَّتِي هِيَ كَجِيفَةِ الْحِمَارِ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: «الدُّنْيَا جِيفَةٌ وَطُلَّابُهَا كِلَابٌ»[1].

لِمَا عَرَفَ أَبُو مُسْلِمٍ ﷺ ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمَعْرِفَةَ فِي قَلْبِهِ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَقُولُ: مَا طَلَبْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، إِلَّا

(١) أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ٧٩٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٨).

وَمَنَعَنِيهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، حَتَّى إِنِّي رَكِبْتُ يَوْمًا حِمَارًا، فَوَقَفَ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ فَنَزَلْتُ، فَجَاءَ آخَرُ فَرَكِبَ الْحِمَارَ فَعَدَى؛ أَيْ: جَرَى بِهِ الْحِمَارُ، قَالَ: فَنِمْتُ مَهْمُومًا، فَجَاءَنِي جَاءٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ لَا تَحْزَنْ، كَذَلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَعَ أَوْلِيَائِهِ وَأَحِبَّائِهِ، فَلَمْ يَصِلْنِي مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا بَعْدَهَا مِنْ شَيْءٍ.

كَانَ لِزَوْجِهِ مَعَهُ عَادَةٌ؛ إِذَا دَخَلَ مِنَ الْبَابِ كَبَّرَ فَكَبَّرَتْ، ثُمَّ أَخَذَتْ نَعْلَهُ وَأَتَتْ لَهُ بِإِدَاوَةٍ وَبَعْضِ مَاءٍ، فَغَسَلَتْ عَنْ وَجْهِهِ وَرِجْلَيْهِ، كُلَّمَا دَخَلَ الرَّجُلُ كَبَّرَ فَتُكَبِّرُ زَوْجُهُ، ثُمَّ تَأْتِي بِالْمَاءِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُوَضِّئَهُ، أَوْ تَمْسَحَ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَدْ أَخَذَتْ نَعْلَهُ بِالْمَحَبَّةِ كُلِّهَا وَبِالرِّفْقِ كُلِّهِ.

فَدَخَلَ يَوْمًا فَكَبَّرَ فَلَمْ يُجِبْهُ مُجِيبٌ، فَظَنَّ أَنَّ الْمَرْأَةَ قَدْ مَاتَتْ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا عَابِسَةً مُقَطِّبَةً،

فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا أَمَةَ اللَّهِ، لَقَدْ أَصَابَكِ بَعْدَنَا شَرٌّ، مَا لَكِ؟ وَمَا الَّذِي نَزَلَ بِسَاحَتِكِ؟

فَقَالَتْ: يَا أَبَا مُسْلِم، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَوْ أَنَّكَ سَأَلْتَهُ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا أَعْطَاكَ، أَنْتَ تُضَيِّقُ عَلَيْنَا فَنَحْيَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَعِيشَةِ الْخَشِنَةِ، وَإِنَّكَ لَمُسْتَطِيعٌ وَالدُّنْيَا مِنْكَ عَلَى أَطْرَافِ الْأَنَامِلِ، أَنْ تَحْصُلَ مِنْهَا عَلَى مَا تُحِبُّ أَوْ مَا نُحِبُّ نَحْنُ وَنُرِيدُ، فَقَالَ الرَّجُلُ مُتَوَجِّعًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ -وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ أَفْسَدَ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ-: اللَّهُمَّ مَنْ أَفْسَدَ عَلَيَّ أَهْلِي فَأَعْمِ بَصَرَهُ.

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ قَدْ جَاءَتْ إِلَى امْرَأَةِ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَالَتْ لَهَا: زَوْجُكِ لَهُ وَجْهٌ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَوْ أَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ الدُّنْيَا لَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا دَعَا أَبُو مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِمَا دَعَا، كَانَتِ

الْمَرْأَةُ جَالِسَةٌ فِي بَيْتِهَا وَبَيْنَ أَبْنَائِهَا، وَالْمِصْبَاحُ تُحَرِّكُهُ الرِّيَاحُ، فَقَالَتْ: مَا بَالُ الْمِصْبَاحِ قَدْ طُفِئَ! قَالُوا: مَا طُفِئَ الْمِصْبَاحُ، قَالَتْ: إِذَنْ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ أَبِي مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَعْمَاهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ اسْتِجَابَةً لِدُعَائِهِ، فَأَخَذُوا بِيَدِهَا فَذَهَبَتْ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ تَطْلُبُ الصَّفْحَ وَالسَّمَاحَ، فَرَحِمَهَا أَبُو مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَتَوَجَّهَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا بَصَرَهَا، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بَصَرَهَا.

إِنَّ هَؤُلَاءِ يَصِلُونَ إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ، بِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْمَوْتِ.

وَالْمَوْتُ حَقِيقَةٌ مِنْ أَحَقِّ الْحَقَائِقِ فِي هَذَا الْوُجُودِ، وَمَعَ أَنَّهَا ثَابِتَةٌ ثُبُوتًا لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا مِرْيَةَ فِي أَمْرِهِ، إِلَّا أَنَّ قَلِيلًا مِنَ الْبَشَرِ جِدًّا الَّذِينَ يَنْظُرُونَ فِي أَمْرِ

الْمَوْتِ عَلَى أَنَّهُ آتٍ لَا مَحَالَةَ.

وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ كَانَ فِي أَمْرٍ مِنَ الدُّنْيَا عَظِيمٍ مِنْ مَلَذَّاتٍ وَشَهَوَاتٍ، وَقَدْ وُعِدَ أَنَّهُ بَعْدَ سَاعَةٍ سَيَدْخُلُ عَلَيْهِ جُنْدِيٌّ بِسَوْطِهِ فَيَسُوطُهُ بِهِ عِدَّةَ أَسْوَاطٍ، لَمَا هَنَأَ لَهُ بَالٌ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ لَذَّةٍ وَنَعِيمٍ، مَعَ أَنَّ الَّذِي سَيَأْتِيهِ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى يَدَيْ ذَلِكَ الْجُنْدِيِّ الْمَوْعُودِ بِهِ، سَيَأْتِي بَعْدَ سَاعَةٍ، فَمَا تَقُولُ فِي أَمْرِ الْمَوْتِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا، كَمَا أُخْبِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْنَادٍ لَا يَصِحُّ أَنَّهُ قَالَ ﷺ فِيمَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ، أَنَّ أَمَلَهُ ﷺ مَا بَيْنَ الْتِقَاءِ شَفْرَيِ الْعَيْنَيْنِ ﷺ[1].

---

(١) أورده الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤٩٧٧)، و«ضعيف الترغيب» (١٩٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اشْتَرَى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَلِيدَةً بِمِئَةِ دِينَارٍ إِلَى شَهْرٍ فَسَمِعْتُ=

النَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَوْتَ حَقِيقَةٌ وَاقِعَةٌ لَا مَفَرَّ مِنْهَا، وَلَا مَحَالَةَ مُلَاقِيهُمْ ذَلِكَ الْمَوْتُ الَّذِي مِنْهُ يَفِرُّونَ، وَمَعَ ذَلِكَ يَعْبَثُ النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ مَا يَعْبَثُونَ، وَيَلْهُو النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ مَا يَلْهُونَ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَالسَّبَبُ فِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ انْتِظَارًا حَقِيقِيًّا: هُوَ حُبُّ الدُّنْيَا، وَالْجَهْلُ بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبِقُدْرَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى خَلْقِهِ، الَّذِي إِذَا مَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ.

= رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ أُسَامَةَ الْمُشْتَرِي إِلَى شَهْرٍ؟! إِنَّ أُسَامَةَ لَطَوِيلُ الْأَمَلِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا طَرَفَتْ عَيْنَايَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنْ شَفْرَيَّ لَا يَلْتَقِيَانِ حَتَّى يَقْبِضَ اللَّهُ رُوحِي، وَلَا رَفَعْتُ قَدَحًا إِلَى فِيَّ فَظَنَنْتُ أَنِّي وَاضِعُهُ حَتَّى أُقْبَضَ، وَلَا لَقِمْتُ لُقْمَةً إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَسِيغُهَا حَتَّى أُغَصَّ بِهَا مِنَ الْمَوْتِ، [يَا بَنِي آدَمَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ».

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ حُبِّهِ لِلدُّنْيَا وَإِقْبَالِهِ عَلَى الْمَلَذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، يَأْتِيهِ طُولُ الْأَمْلِ، وَيَظَلُّ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُسَوِّفًا، يَنْظُرُ إِلَى شَبَابِهِ فَيَقُولُ: إِذَا مَا كَبِرْتُ تُبْتُ وَأَنْبْتُ وَعَمِلْتُ الصَّالِحَاتِ، فَإِذَا مَا كَبِرَ قَالَ: إِنَّ أَمَامِي وَلَدًا سَأُعِدُّ لَهُ زَوْجًا صَالِحَةً، وَإِنَّ لِي دَارًا لَابُدَّ مِنْ تَأْثِيثِهَا، ثُمَّ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ بَغْتَةً -نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ- فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِدَّ الْعُدَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ، وَالزَّادَ الَّذِي هُوَ التَّقْوَى، لِلِقَاءِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْخَوَاتِيمَ.

يُسَوِّفُ الْإِنْسَانُ مَا يُسَوِّفُ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي لِلشَّبَابِ وَلِلشُّيُوخِ، وَيَأْتِي فِي أَيِّ مَكَانٍ، وَيَأْتِي فِي أَيِّ زَمَانٍ يُرِيدُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَأْتِيَ فِيهِ، وَالْمَوْتُ يَأْتِي لِلشَّبَابِ وَلِفَصِيلَةِ مَنْ كَانُوا فِي أَوَاسِطِ

الْعُمُرِ، وَاعْتَبِرْ بِأَهْلِ بَلَدِكَ وَأَهْلِ مَحَلَّتِكَ، فَإِنَّ الْكِبَارَ مِنْهُمْ لَا يُعَدُّونَ عُشْرَ السُّكَّانِ فِيهَا، فَلَوْ كَانَ الْمَوْتُ يُمْهِلُ وَيَنْتَظِرُ، لَكَانَ هَؤُلَاءِ أَكْثَرِيَّةَ مَنْ فِيهَا، وَلَكِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ وَجَدْتَ الَّذِينَ يَصِلُون إِلَى عُمُرٍ مُرْتَفِعٍ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ، نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْخَوَاتِيمَ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ يُسَوِّفُ فِي أَمْرِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَمَا تَفْعَلُ كَلِمَةٌ بِأَهْلِ النَّارِ، مِثْلَمَا تَفْعَلُ كَلِمَةُ «سَوْفَ» بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَنْدَمُونَ عَلَيْهَا نَدَمًا عَظِيمًا جِدًّا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا سَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَلَمْ يَتُبْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ جَاءَ قَدَرُ اللَّهِ تَعَالَى، بِلِقَائِهِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنْ زَادٍ وَلَا مِنْ عَتَادٍ لِلِقَاءِ اللَّهِ ﷻ، جَاءَتِ الْحَسْرَةُ وَجَاءَتِ النَّدَامَةُ، لَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ، كَمَا قَالَ مُعَاذٌ رضي الله عنه لَمَّا جَاءَهُ الْمَوْتُ وَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِي النَّزْعِ الْأَخِيرِ

يَقُولُ: مَرْحَبًا بِضَيْفٍ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ، مَرْحَبًا بِحَبِيبٍ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ، لَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ[1]، فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ.

كَيْفَ يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْغَفْلَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، وَيَعْتَبِرُ بِحَالِ الْمَوْتِ وَيَتَحَقَّقُ بِحَقِيقَتِهِ؟

أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ لِذَلِكَ طُرُقًا مَسْلُوكَةً، يَسْلُكُهَا الصَّالِحُونَ وَيَتَأَمَّلُونَ فِيهَا.

فَأَوَّلُ تِلْكَ الطُّرُقِ: أَنْ تَعْتَبِرَ بِأَمْثَالِكَ وَأَقْرَانِكَ مِمَّنْ مَاتُوا، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ الْحَيَاةِ وَفِي حَالِ مَنَاصِبِهِمْ، وَفِي أَحْوَالِهِمْ، وَفِي سَعْيِهِمْ، وَفِي

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠١)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٣٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٦٨٨)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٢/ ٢٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٨٢).

حَرَكَاتِهِمْ وَفِي سَكَنَاتِهِمْ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هُمْ رَهَائِنُ مَحْبِسٍ ضَيِّقٍ تَحْتَ طَبَقَاتِ الثَّرَى، ثُغُورُهُمُ الضَّاحِكَةُ قَدْ أَكَلَ التُّرَابُ أَنْيَابَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَضْحَكُونَ بِهَا، أَلْسِنَتُهُمُ النَّاطِقَةُ، قَدْ أَفْنَى الدُّودُ مَا كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ وَمَا كَانُوا يَلُوكُونَهُ فِي أَشْدَاقِهِمْ، أَمَّا أَزْوَاجُهُمْ فَقَدْ أَرْمَلُوهُنَّ، وَأَمَّا أَبْنَاؤُهُمْ فَقَدْ أَكَلُوهُمْ، وَأَمَّا أَمْوَالُهُمْ فَقَدْ تَرَكُوهَا، ثُمَّ ذَهَبُوا وَمَضَوْا وَخَلَّوْا ذَلِكَ كُلَّهُ لِمَنْ يَرِثُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

فَاعْتَبِرْ بِأَمْثَالِكَ وَأَقْرَانِكَ، مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ فِي سِنٍّ سَوَاءٍ أَوْ حَالٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ ذَهَبُوا وَخَلَّفُوكَ، أَيْنَ هُمُ الْآنَ؟

وَكَيْفَ أَحْوَالُهُمُ الْآنَ؟

وَهَلْ يَا تُرَى هُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ،

أَمْ فِي حُفْرَةٍ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ؟

كَيْفَ حَالُهُمْ تَحْتَ الثَّرَى؟

مَا لَهُمْ خُرْسٌ لَّا يَتَكَلَّمُونَ؟

مَا لَهُمْ بُكْمٌ لَا يَنْطِقُونَ؟

مَا لَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ لَا يَسْمَعُونَ؟

كَيْفَ هُمُ الْآنَ؟

وَكَيْفَ أَنْتَ؟

وَعَمَّا قَلِيلٍ تَصِيرُ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ.

فَهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ الَّذِي يُحَقِّقُكَ بِحَقِيقَةِ الْمَوْتِ، لِكَيْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمَوْتَ عَلَى رَقَبَتِكَ، كَالسَّيْفِ الْمَمْدُودِ عَلَى رَقَبَةِ الضَّحِيَّةِ، مَا بَيْنَ ثَانِيَةٍ وَالَّتِي تَلِيهَا يَقَعُ عَلَى تِلْكَ الرَّقَبَةِ الْمَمْدُودَةِ، وَيَصِيرُ مَا لِلتُّرَابِ لِلتُّرَابِ، وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ أَحْسِنْ لَنَا الْخَوَاتِيمَ يَا

أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الطَّرِيقُ الثَّانِي: أَنْ يَعْتَبِرَ الْإِنْسَانُ بِحَالِ نَفْسِهِ: فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الَّتِي يَحْرِصُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ مَا يَحْرِصُ؛ نَظَافَةً وَعِنَايَةً، كَيْفَ حَالُهَا إِذَا مَا صَارَتْ فِي التُّرَابِ، وَخَلَّفَهَا هُنَالِكَ الْأَحْبَابُ؟ فَلَمْ يَذْهَبْ بِكَ إِلَى هُنَاكَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّكَ، وَأَمَّا أَعْدَاؤُكَ فَيَوَدُّونَ لَوْ أَنَّهُمْ تَرَكُوكَ نَهْبًا لِلْكِلَابِ، وَأَمَّا أَحْبَابُكَ فَيَذْهَبُونَ بِكَ لِيُوَسِّدُوكَ التُّرَابَ، ثُمَّ يَضَعُونَكَ غَرِيبًا فَرِيدًا فِي وَحْشَةٍ مُوحِشَةٍ، وَظُلْمَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَمَا مِنْ أَنِيسٍ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَمَا مِنْ جَلِيسٍ إِلَّا مَا قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ عَمَلٍ يَرْجُو حُسْنَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَرْجُو بَقَاءَ عَاقِبَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، فَلْيَعْتَبِرِ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ تُرَابٌ مُتَحَرِّكٌ نَاطِقٌ، عَمَّا قَلِيلٍ يَصِيرُ تُرَابًا

صَامِتًا سَاكِنًا تَطَؤُهُ الْأَقْدَامُ.

فِي كُلِّ يَوْمٍ نُشَيِّعُ مَنْ نُشَيِّعُ، ثُمَّ لَا عِبْرَةَ وَلَا مَوْعِظَةَ كَأَنَّ الْمَوْتَ لَنْ يَنَالَنَا بِحَالٍ أَبَدًا، وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

فَلْيَعْتَبِرِ الْإِنْسَانُ بِحَالِ نَفْسِهِ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مَيِّتٌ لَعَلَّ أَكْفَانَكَ قَدْ نُسِجَتْ؛ بَلِ الْيَقِينُ أَنَّهَا قَدْ نُسِجَتْ بِالْفِعْلِ، غَايَةُ مَا هُنَالِكَ أَنَّهَا تَنْتَظِرُ طَلَبَكَ، وَطَلَبَ مَنْ سَيَقُومُ عَلَى أَمْرِكَ مِنْ بَعْدِكَ، أَكْفَانُكَ قَدْ نُسِجَتْ وَجُدْرَانُ مَقَابِرِكَ قَدْ بُنِيَتْ وَأُعِدَّتْ، وَيَنْتَظِرُكَ قَبْرٌ لَنْ يَمْتَلِئَ وَلَوْ دَخَلَ قِيهِ أَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْمَوْتَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْمَوْتَ عِنْدَمَا يَنْزِلُ بِسَاحَةِ إِنْسَانٍ فَإِنَّ الْعَذَابَ الَّذِي يُلَاقِيهِ، وَالْكَرْبَ وَالْهَوْلَ الَّذِي يَجِدُهُ، وَغُصَصًا مِنْ غُصَصٍ وَمِنْ كُرَبٍ، يُحِسُّ بِهَا فِي حَالِ احْتِضَارِهِ، لَا يَقْدِرُ عَلَى وَصْفِهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا.

وَأَمَّا الطَّرِيقُ الثَّالِثُ لِتَحْقِيقِ حَقِيقَةِ الْمَوْتِ فِي النَّفْسِ: فَأَنْ يَعْتَبِرَ الْإِنْسَانُ بِمَا يَجِدُ فِيهِ الْمَوْتَى مِنْ كُرَبٍ، وَمَا يُحِسُّهُ الْمَوْتَى مِنْ غُصَصٍ تَظْهَرُ آثَارُهَا عَلَى الْوُجُوهِ وَفِي الْأَعْضَاءِ، وَأَنْتَ لَا تَمْلِكُ لِحَبِيبٍ شَيْئًا، وَلَا تَمْلِكُ لِصَدِيقٍ عَنْهُ دَفْعًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

نَبِيُّكُمْ ﷺ وَهُوَ الْحَبِيبُ الْمَحْبُوبُ، وَالشَّافِعُ

الْمُشَفَّعُ ﷺ، وَهُوَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَعْلَمُونَ، يَضَعُ يَدَهُ فِي إِنَاءِ الْمَاءِ يَمْسَحُ عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ**»[1]، كَذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ.

وَالْمَلَائِكَةُ يَجْلِسُونَ مَدَّ الْبَصَرِ بِأَكْفَانٍ مِنْ لِبَاسِ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ بِأَكْفَانٍ مِنْ لِبَاسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَعَهُمْ طِيبٌ مِنْ حَنُوطِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ مَعَهُمْ مِنْ حَنُوطِ أَهْلِ النَّارِ، يَجْلِسُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يُبَشِّرُونَ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَحُسْنَ الْمَآبِ، وَهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ، وَيَجْلِسُ الْآخَرُونَ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُودٌ، فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَارْحَمْ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

فَإِذَا جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَنَزَعَ الرُّوحَ، نَزَعَ رُوحُ الْكَافِرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٩، ٦٥١٠)، وأحمد (٢٤٣٥٦).

وَالْمُعَانِدِ، كَمَا يُنْزَعُ السَّفُّودُ الْمَحْمِيُّ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، كَمَا يُنْزَعُ الْقَضِيبُ الَّذِي أُحْمِيَ فِي النَّارِ حَتَّى احْمَرَّ وَكَادَ يَنْصَهِرُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ نَزْعًا غَيْرَ رَفِيقٍ، فَمَا مِنْ خَلِيَّةٍ إِلَّا وَتُحِسُّ أَلَمَ الْمَوْتِ، وَمَا مِنْ خَلِيَّةٍ إِلَّا وَتَمُوتُ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُهَوِّنَ عَلَيْنَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ.

وَأَمَّا الْآخَرُونَ: فَيَنْزِعُ مِنْهُمْ أَرْوَاحَهُمْ فَتَخْرُجُ كَمَا تَخْرُجُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ[1].

اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَحْسِنْ لَنَا الْخَوَاتِيمَ، وَفَهِّمْنَا حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَحَقِيقَةَ الْآخِرَةِ،

---

(١) ورد ذلك في حديث البراء بن عازب ﷺ الطويل في حال الميت من إقباله على الآخرة إلى بيان مصيره في قبره. أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٦).

وعَمِّقِ الْإِيمَانَ وَأَثَرَ الْإِيمَانِ وَثَمَرَهُ فِي قُلُوبِنَا إِنَّكَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ إِذَا أَصَابَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ أَلَمٌ، كَانَ الْأَلَمُ فِي هَذَا الْعُضْوِ عَلَى قَدْرِ الرُّوحِ الَّتِي تَسْرِي فِي هَذَا الْعُضْوِ، فَإِذَا مَاتَ عُضْوٌ كَانَ حَيًّا فِي جَسَدِ إِنْسَانٍ، فَإِنْ هَذَا الْعُضْوَ لَوْ قُطِّعَ وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِجَسَدِ صَاحِبِهِ لَمَّا أَحَسَّ الْإِنْسَانُ بِأَلَمِ تَقْطِيعِ عُضْوِهِ الْمَيِّتِ وَمَا زَالَ مُتَّصِلًا بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَلَمَ يَكُونَ عَلَى حَسَبِ الرُّوحِ الْوَاصِلِ لِلْعُضْوِ، أَمَّا فِي الْمَوْتِ فَيَأْتِي الْأَلَمُ، لَا لِجُزْءٍ مِنَ الرُّوحِ مُتَّصِلٍ بِعُضْوٍ؛ بَلْ يَقَعُ الْمَوْتُ وَالْأَلَمُ عَلَى الرُّوحِ كُلِّهَا فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟!

اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

إِنَّ اللَّـهَ ﷻ قَدْ أَكْرَمَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِكَرَامَاتٍ ظَاهِرَةٍ؛ لِأَنَّ الْأُمَمَ الَّتِي سَبَقَتْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَتْ أَعْمَارُ أَفْرَادِهَا طَوِيلَةً، وَأَمَّا أَمَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهِيَ الْأُمَّةُ الْخَاتِمَةُ الَّتِي تَتْبَعُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﷺ، فَهِيَ أَقْصَرُ الْأُمَمِ أَعْمَارًا، وَهِيَ أَوْسَطُ الْأُمَمِ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِذَلِكَ يُخْبِرُنَا النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ بِكَرَامَاتٍ ظَاهِرَةٍ، لِكَيْ لَا يَيْأَسَ الْمَرْءُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَهْمَا أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ، وَلِكَيْ يَظِلَّ الْبَابُ مَفْتُوحًا أَمَامَ مَنْ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ لِكَيْ يَعُودَ، فَيُقْلِعَ عَمَّا يَقْتَرِفُ مِنْ آثَامٍ وَمِنْ ذُنُوبٍ، فَيَجِدُ أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ فَرِحًا بِهِ، إِذَا مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ تَلَقَّاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَإِذَا مَا نَادَاهُ لَبَّاهُ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِذَا مَا أَذْنَبَ تَابَ عَلَيْهِ إِذَا مَا تَابَ.

كَمَا وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا لَمْ يَدَعْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً

إِلَّا أَتَاهَا؟ أَيْ: لَمْ يَدَعْ ذَنْبًا وَلَا إِثْمًا إِلَّا وَقَعَ فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ تَابَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: ثُمَّ يَعُودُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**يُكْتَبُ عَلَيْهِ**»، قَالَ: ثُمَّ يَتُوبُ، قَالَ: «**يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: ثُمَّ يَعُودُ لِلذَّنْبِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**يُكْتَبُ عَلَيْهِ**»، قَالَ الرَّجُلُ: ثُمَّ يَتُوبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»[1].

فَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ عِبَادَ اللَّهِ، وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا،

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٩)، (٤/ ٢٥٧)، وصحَّحه، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٨٧)، و«الأوسط» (٨٦٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٤٠٨) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وفي إسناده عبد اللَّه بن صالح، كاتب الليث، وفي حفظه مقال، والحديث حسَّنه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٣١).

إِلَّا أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ التَّوْحِيدَ، وَاشْهَدُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وبِمُطْلَقِ الرُّبُوبِيَّةِ، أَفَرَأَيْتُمْ مِنْ مُعْطٍ هُوَ أَكْرَمُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ..

يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ مِنْ مَاتَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي يَوْمِهَا وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْنَادَيْنِ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَدِ»[1]، وَالْحَدِيثُ بِمَجْمُوعِهِمَا حَسَنٌ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، أَوْ يَوْمِهَا إِلَّا وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**».

وَيَا لَفِتْنَةِ الْقَبْرِ هَذِهِ مِنْ فِتْنَةٍ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ، وَتَرَكَهُ أَهْلُهُ وَهُوَ يَسْمَعُ قَرْعَ النِّعَالِ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ -مُنْكَرٌ

(١) أخرجه أحمد (٦٥٨٢، ٦٦٤٦، ٧٠٥٠)، والترمذي (١٠٧٤) واستغربه، من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٧٣).

وَنَكِيرٌ- فَيُقْعِدَانِهِ فَيَسْأَلَانِهِ، أَمَّا وَصْفُهُمَا فِشَدِيدٌ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي وَصْفِهِمَا: «إِنَّهُمَا مَلَكَانِ أَزْرَقَانِ يَنْدَفِعُ مِنْ أَعْيُنِهِمَا الشَّرَرُ يَتَعَثَّرَانِ فِي شُعُورِهِمَا، مَعَهُمَا مِرْزَبَةٌ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَوْ أَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ جَمِيعًا اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُحَلْحِلُوهَا مِنْ مَوْضِعِهَا -أَيْ: تِلْكَ الْمِرْزَبَةَ- مَا اسْتَطَاعُوا، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُوَفَّقًا قَالَ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي وَرَسُولِي، فَيُجْلِسَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: فَلْتَنَمْ نَوْمَ الْعَرُوسِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ.

وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِذَا قَالَا لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَضْرِبَانِهِ بِالْمِرْزَبَةِ ضَرْبَةً يَنْزِلُ فِيهَا إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ مَنَ الْأَرْضِ،

فَيُخْرِجَانِهِ فَيَسْأَلَانِهِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيَضْرِبَانِهِ فَيُخْرِجَانِهِ بَعْدَمَا يَغُوصُ وَيَسُوخُ فِي الْأَرْضِ مَسَاخًا -نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلامَةَ وَالْعَافِيَةَ- فَيَسْأَلَانِهِ: مَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ يَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيَضْرِبَانِهِ ثُمَّ يُخْرِجَانِهِ ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَظَلُّ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ»[1]، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

---

(١) أخرج نحوه -دون ذكر المرزبة-: الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٤).
وللمرزبة ذكرٌ في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما الطويل في الباب، والذي أخرجه أحمد (١٨٦١٤)، وأبو داود (٤٧٥٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٦).

أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَيَقُولُ بِالْبُشْرَى لِمَنْ تَبِعَهُ: «**إِنَّهُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي يَوْمِهَا، إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**»(١)، فَيَا لَهَا مِنْ بُشْرَى! نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَيَسْأَلُ أَصْحَابَهُ يَوْمًا فَيَقُولُ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَنْ لَقَلِيلٌ، مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ** -وَفَرْقٌ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ؛ لِأَنَّ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاتَ بِسَيْفِهِ فِي صِرَاعٍ فَقُتِلَ، وَأَمَّا مَنْ مَاتَ فَكَانَ غَازِيًا فَمَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، أَوْ وَقَعَ عَنْ دَابَّتِهِ فَمَاتَ- **وَمَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ فَهُوَ**

(١) تقدم تخريجه، وحسَّنه الألباني.

شَهِيدٌ، -مَنْ أَصَابَهُ الِاسْتِسْقَاءُ، أَوْ مَنْ أَصَابَتْ كُلَاهُ إِصَابَةٌ فَكَانَتْ سَبَبًا فِي مَوْتِهِ، فَمَادَامَ مَاتَ عَلَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ- **وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ** -الَّذِي يَقْتُلُهُ الطَّاعُونُ شَهِيدٌ- **وَصَاحِبُ السُّلِّ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ** -وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ بِالغِشَاءِ الْمُلَاصِقِ لِلْأَضْلَاعِ مِنَ الدَّاخِلِ- **وَمَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ دُونَ عِرْضِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»**[1].

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ كَرَمِ أُمَّتِهِ عَلَى اللَّهِ رَبِّ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٥)، وأحمد (٨٠٩٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَنْ لَقَلِيلٌ**» قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ=

الْعَالَمِينَ وَكَرَمِهِ ﷺ، يَقُولُ: «**وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ فِي نِفَاسِهَا شَهِيدَةٌ، تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَأْتِي وَلِيدُهَا يَجُرُّهَا مِنْ سُرَرِهَا**» -بِحَبْلِهِ السُّرِّيِّ يَجُرُّهَا بِهَذَا الْحَبْلِ جَرًّا-

---

= **فَهُوَ شَهِيدٌ. وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ. وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

واللفظ لمسلم، وفي لفظ لأحمد (٩٦٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ؟**» قَالُوا: الَّذِي يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: «**إِنَّ الشَّهِيدَ فِي أُمَّتِي إِذَنْ لَقَلِيلٌ، الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالطَّعِينُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْخَارُّ عَنْ دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمَجْنُوبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ**»، قَالَ مُحَمَّدٌ -يَعْنِي: ابْنَ إِسْحَاقَ-: الْمَجْنُوبُ صَاحِبُ الْجَنْبِ، وفي سنده محمد بن إسحاق، مدلس وقد عنعن، وصحَّحه الألباني بشواهده في «الصحيحة» (١٦٦٧)، وأخرج أيضًا أحمد (٢٢٦٨٥) بنحوه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

حَتَّى يُدْخِلَهَا الْجَنَّةَ»[١]، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُرِيَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مِنَّا الْخَيْرَ، وَسَنَجِدُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ- مِنَ اللَّهِ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ، نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَرْحَمَ أَمْوَاتَنَا وَأَمْوَاتَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا وَإِيَّاكُمْ إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّهُ تَعَالَى الْبَرُّ الْكَرِيمُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ مَا خَلَقَنَا لِيُعَذِّبَنَا؛ بَلْ خَلَقَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِيَرْحَمَنَا، غَيْرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ سَيَحْكُمُ عَلَى نَفْسِهِ لَا مَحَالَةَ بِأَنَّهُ لَا يَسْتَوْجِبُ الرَّحْمَةَ وَلَا يَسْتَأْهِلُهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ طَرِيقَةِ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٩٨، ٢٢٧٨٤)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣١٤)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٩٦): حسن صحيح.

حِسَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَنَظَرَ الْمَرْءُ فِي ذَلِكَ، عَلِمَ أَنَّ مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَذَلِكَ بِمَحْضِ كَرَمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَغْفِرَتِهِ، وَمَنْ دَخَلَ النَّارَ فَبِعَمَلِهِ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا فِي حِسَابِ رَبِّنَا مَعَنَا بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ أَمْرًا عَجِيبًا، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ، فَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ ﷺ: «**لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ**»(١)، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْهَا أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يُمَتِّعَنَا بِالْجَنَّةِ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَإِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ وَعَمِلَهَا لَا تُكْتَبُ حَسَنَةً وَاحِدَةً، بَلْ تُكْتَبُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى**

(١) ورد في أحد ألفاظ مسلم (١٣١) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه الآتي تخريجه في الذي بعده.

سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ حَسَنَةً، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ وَأَيُّ حِسَابٍ هَذَا؟، «وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ»[1].

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ»[2].

فَيَرْتَكِبُ الْعَبْدُ الذَّنْبَ، وَيُلِمُّ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ تَأْتِي هَذِهِ الْمُطَهِّرَاتُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٢٩-١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقوله: «لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ»، هو أحد ألفاظ مسلم (١٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣)، وأحمد (٨٧١٥، ٩١٩٧، ٩٣٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْمُكَفِّرَاتُ لِلذُّنُوبِ.

أَوَجَدْتُمْ رَبًّا أَكْرَمَ مَنِ هَذَا؟! لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ يَبْعُدُ عَنْهُ الْخَلْقُ مَا يَبْعُدُونَ، وَيَصْدِفُ عَنْهُ النَّاسُ مَا يَصْدِفُونَ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ: كَمْ مِنْ حَبِيبٍ نُوَدِّعُ مُصْبِحِينَ وَمُمْسِينَ، غَادِينَ وَرَائِحِينَ؟ وَالْمَوْتُ بَعْدُ يُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلَهُ، كَمَا جَاءَ إِلَى فُلَانٍ سَوْفَ يَجِيءُ إِلَيْكَ، وَكَمَا نُسِيَ فُلَانٌ وَيُنْسَى بَعْدَ حِينٍ، لَابُدَّ أَنْ تُنْسَى بَعْدَ حِينٍ، فَلْيَكُنْ لَكَ ذِكْرٌ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ الذِّكْرَ الْحَقِيقِيَّ مَا كَانَ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى لَا فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَا ذَكَرَ اللَّهَ ﷻ فِي الْأَرْضِ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ ذَكَرَهُ اللَّهُ ﷻ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ الْمَلَأِ الَّذِينَ ذَكَرَهُ فِيهِمْ هَذَا الْعَبْدُ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَاتَ، وَكَانَ صَالِحًا سَاجِدًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَكَى عَلَيْهِ مَوْضِعَانِ: مَسْجِدُهُ فِي الْأَرْضِ، وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ فِي السَّمَاءِ[1]، يَبْكِيَانِ عَلَيْهِ بُكَاءً حَقِيقِيًّا، كَمَا قَالَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَحْوَالِ الْمُكَذِّبِينَ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]، فَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَبْكِيَانِ عَلَى آخَرِينَ لَيْسَتْ هَذِهِ صِفَتَهُمْ، وَلَيْسَ هَذَا حَالَهُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ نَعَتَهُمْ.

يَبْكِي مَوْضِعُ سُجُودِهِ فِي الْأَرْضِ، وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهُمَا فَقَدَا الَّذِي يَتَجَانَسُ مَعَهُمَا فِي

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٥) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا.
وورد موقوفًا على ابن عباس ﷺ تأويلًا للآية كما أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٢/ ٣٤، ٣٥، ٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٥٠) وصحَّحه.

كُوْنِهِ طَائِعًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَنْ يَعْصِي اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَمَا يَعْصِي اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِلَّا نَحْنُ الْأَنَاسِيُّ وَإِلَّا الْجِنُّ .

نَحْنُ وَحْدَنَا الَّذِينَ نَعْصِي اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وَنَحْنُ وَحْدَنَا الَّذِينَ نُجَاهِرَ وَنُبَارِزُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِآثَامِنَا وَذُنُوبِنَا ، وَأَمَّا الْكَوْنُ كُلُّهُ فَفِي حَالِ طَاعَةٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْحَيَاءَ مِنْهُ ، وَأَنْ يَرْحَمَنَا وَإِيَّاكُمْ وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ تَعَالَى الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا وَاجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنْ اهْتَدَى .

اللَّهُمَّ انْصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا، وَأَعِنَّا وَلَا تُعِنْ عَلَيْنَا، وَامْكُرْ لَنَا وَلَا تَمْكُرْ بِنَا، وَاهْدِنَا وَيَسِّرِ الْهُدَى لَنَا، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّلَالِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّيَاءِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النِّفَاقِ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حَقِيقَةَ الْإِخْلاصِ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْمَتَابَ قَبْلَ الْمَمَاتِ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَارْحَمْ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، وَاجْعَلْ

قُبُورَنَا وَقُبُورَهُمْ مِنْ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، وَلَا تَجْعَلْهَا مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ، وَنَجِّنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْ نُزُلَهُمْ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُمْ، وَاغْسِلْهُمْ مِنْ خَطَايَاهُمْ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذُنُوبِهِمْ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

اللَّهُمَّ هَبِ الْمُسِيئِينَ مِنَّا لِلْمُحْسِنِينَ، وَفَهِّمْنَا حَقِيقَةَ الدُّنْيَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا جُهَّالٌ فَعَلِّمْنَا، ضُلَّالٌ فَاهْدِنَا، عُصَاةٌ فَتُبْ عَلَيْنَا، قُسَاةٌ فَلَيِّنَا.

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا أَبْوَابَ السَّمَوَاتِ، وَعَامِلْنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَلَا تُعَامِلْنَا بِمَا نَحْنُ أَهْلُهُ، أَنْتَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَنَحْنُ أَهْلُ التَّقْصِيرِ وَالذُّنُوبِ

وَالْعُيُوبِ، فَتُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ.

اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وِبِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا، لَا نَهْلِكُ وَأَنْتَ الرَّجَاءُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى النَّذِيرِ الْبَشِيرِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

* * *

فِهْرس المَوْضُوعات

سَبَبُ تَسْمِيَةِ يَحْيَى بِالْجَلَّاءِ ٤

طَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِ يَحْيَى الْجَلَّاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ ٥

طَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ٧

الْمَوْتُ حَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ ١٨

طُولُ الْأَمَلِ وَتَسْوِيفُ الْعَمَلِ ١٩

كَيْفَ يَخْرُجُ الإِنْسَانُ مِنَ الْغَفْلَةِ؟ ٢١

الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ: الِاعْتِبَارُ بِمَنْ مَاتَ مِنَ الْأَقْرَانِ وَالْأَمْثَالِ ٢١

الطَّرِيقُ الثَّانِي: اعْتِبَارُ الْإِنْسَانِ بِحَالِ نَفْسِهِ ٢٤

الطَّرِيقُ الثَّالِثُ: الِاعْتِبَارُ بِحَالِ الْمَوْتَى ٢٦

كَرَامَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ٣٠

وَمِنْهَا: فَتْحُ بَابِ التَّوْبَةِ ٣٠

فَضْلُ مَنْ مَاتَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمِهَا ٣٢
فِتْنَةُ الْقَبْرِ ٣٢
أَنْوَاعُ الشُّهَدَاءِ ٣٥
كَيْفِيَّةُ حِسَابِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ٣٩
بُكَاءُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ إِذَا مَاتَ ٤٢

* * *

حقيقة الدنيا وحقيقة الموت

تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

دار الإمام البربهاري
جمهورية مصر العربية - القاهرة
٣٤ شارع القرعة الخمسينية - بجوار مسجد الرحمة المهداة ومجمع الشرطة بالأميرية
هاتف: ٠٠٢٠١١٨٤٢٦٢٠٥
EMAIL: DARELBRBAHARY@YAHOO.COM